وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل وقال أبو مسلم ما تاه
إلا وضيع ولا فاخر إلا لقيط ولا تعصب إلا دخيل وقال أزدشير بن بابك
ما الكبر إلا فضل حمق لم يدر صاحبه أين يضعه فصرفه إلى الكبر وقال الشاعر

وقل لمعتصم بالتيه من حمق ... لو كنت تعرف ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة ... للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقال آخر: رأيت الحقير يزداد نقصا ... إذا كان منسوبا إلى العجب والكبر
وهو كأن العجب من كبر همته ... فإن رأيت العجب من صغر القدر

وكان يقال من حمل من نفسه فوق قدر غيره أجهل ومن أنقص من محل نفسه أفضل
إلى محل غيره وقالوا لا عجب يغطي ساير المعايب وقالوا من قل عيبه كثر
عجبه وقالوا من أصاب حظا من جاه فأصاغ إلى كبر وترفع أعلم الناس
أنه دون تلك المنزلة ومن أقام على حاله أعلمهم أنه في المنزلة دونه وأنه
دون ما يستحق وقال معاوية ابن أبي سفيان التواضع مع الجهل
والبخل أزين بالرجل من الكبر مع البذل والعقل فيا لها حسنة غطت على
سيئتين كبيرتين ويا لها من سيئة غطت على حسنتين عظيمتين وأنشد بعضهم

مح ادرب محرعرم بجانب راسه النخوة بنفسه
وتعتريه في رياسته في الكبر ... فأصبح ممقوتا به وهو لا يدري
يجر ذيول الفخر ثانيا عطفه ... ألا فاعجبوا ممن كان للرفع بالجهر

ومن أظرف ما يحكى عن أصحاب الكبر عن كبره وكمال من عجابه مقدار
قدره وهو أن المهلب بن أبي صفرة مر على مطرف بن عبد الله وهو يتبختر في جبة
خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال المهلب أما
تعرفني فقال له بلى وعرفتك قال أنا المهلب قال نعم أعرفك أولك نطفة
مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة ونظم بعضهم
هذي الكلمات فقال: عجبت من معجب بصورته ... وكان بالأمس نطفة قذرة

وفي غد بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهه ونخوته ... ما بين جنبيه يحمل العذرة

ولآخر: يا مظهر الكبر إعجابا بصورته ... انظر خلاك فإن النتن تثريب

لو

لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأقذار مضروب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدا ... أقصر فإنك مأكول ومشروب

ومن ظريف ما ذكر من أخبار المتكبرين ما يحكى أن علقمة بن وائل الحضرمي وفد على
النبي صلى الله عليه وسلم فبر وقد تقلب من سادات العرب فأمر رسول الله صلى الله عليه
معاوية أن ينطلق به إلى منزل رجل من الأنصار ينزل عليه وكان منزله بأقصى المدينة
فقال معاوية فخرجت معه وهو راكب ناقته وأنا أمشي في ساعة فيها يشوي الوجوه
والبشر في حر فقلت له أردفني خلفك فقال لست من أرداف الملوك قلت أنا ابن أبي سفيان
قال قد سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت فألق إلي نعليك قال لا
يلبسهما مثلك ولكن امش في ظل ناقتي فكفاك ذلك شرفا وأن الظل لك لكثير قال معاوية
فما مر بي مثل ذلك اليوم قط والله ثم أدرك سلطاني فلم أؤاخذه بل
أجلسته معي على سريري هذا وحكي أن عمارة بن حمزة وكان متكبرا دخل على المهدي
يوما فلما استقر في مجلسه قام رجل كان المهدي قد أعده للتهكم بعمارة فقال مظلوم
يا أمير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة هذا غصبني ضيعتي وكانت من أحسن
ضياع عمارة فقال المهدي قم فاجلس مع خصمك قال يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم
إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وإن كانت لي فقد وهبتها له ولا أقوم
من مجلس شرفني به أمير المؤمنين فلما خرج الرجل وانفض المجلس سئل عمارة عن
صفة الرجل وما كان لباسه وأين كان موضع جلوسه فلم يعلم وكان من تيهه
أنه إذا أخطأ في خطابه لم يرجع ويقول نقض وإبرام في ساعة واحدة
الموت أهون منه وحكى ابن حمدون في الحمدونية ذكر في كتاب الوزراء والكتاب أن
عمارة كان أعور وقد استعمله المنصور على الخراج وكور دجلة والأهواز
وكور فارس وولي المهدي ذلك أيضا وكان عبيد الله بن جعفر وزير المستكفي
بالله متكبرا كثير الكبر يكاد يعد كلامه عدا وكان إذا كلم رجلا كلاما يسيرا
منعه ذلك الرجل بكلامه ومن الكبر المستبشع والتيه المستشنع أن معز
الوزراء كوتب به أمرا فقالت يا عبد الله كيف العربي لكاتب كذا فقال يا هامان
المثلي فقال له يا عبد الله وحكي أن أبا الأسود دعا إنسانا كلمه فلم يرع سي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)